النكتة في الامثال (كتاب جمهرة الامثال لأيس هلال العسكري ٣٩٥ هـ أنموذجاً)

عائشة كاظم عكاب
eisha.k.ekab@aliraqia.edu.iq
أ.د إيمان كمال مصطفى
eman.mahdawe67@gmail.com
الجامعة العراقية / كلية الآداب

The Nuances in Proverbs (The Book of Jamharat al-Amthal by Ays Hilaal al-'Askari, 395 AH as a Model)

Aisha Kazem Akab
Prof . Dr. Eman Kamal Mustafa Assist .
Al-Iraqia University / College of

المستخلص

النكتة هي تعبير أو قول قصير يحمل في طياته معنى مفاجئًا أو طريفًا، ويهدف إلى إحداث أثر فكاهي أو التأمل في موقف معين من الحياة. يتميز هذا النوع من النكات باستخدامه للغة بطرق غير متوقعة، وغالبًا ما يعتمد على التلاعب بالألفاظ أو المفارقات أو الحكمة المبسطة. والعرب استعملت النكتة كوسيلة للتعبير عن النقد الاجتماعي أو السياسي بشكل ساخر، أو لتسليط الضوء على المفارقات والتناقضات في الحياة اليومية. يمكن أن تكون هذه النكات مستمدة من قصص شعبية، أو أمثال، أو حكايات طريفة، وغالبًا ما تحمل رسالة عميقة رغم بساطتها الظاهرية , لذا عبر العرب عن لهوهم بطريقتهم الفريدة، فانعكست في أمثالهم وأسمارهم، خاصةً في الأمثال التي شكلت مادة غنية للسمر، فحشدوا فيها أضاحيكهم ونوادرهم والأمثال كانت بمثابة فضاء للانطلاق بحرية، ومرآة لتفاصيل الحياة اليومية بكل ما فيها من مفارقات وسخافات كما أنها كانت متنفساً للرغبات المكبوتة والظاهرة للأفراد والجماعات، ومرعى خصباً للإبداع الفني الذي يثير الدهشة والإعجاب في النفوس[1].

الكلمات المفتاحية : الامثال العربية – النكتة – نشأتها – خصائصها – وظائفها – اهدافها – انواعها – جمهرة الامثال – ابي هلال العسكري

Abstract

A joke is a short expression or saying that carries within it a surprising or funny meaning, and aims to create a comic effect or reflect on a specific situation in life. This type of joke is characterized by its use of language in unexpected ways, often relying on wordplay, irony, or simple wisdom. The Arabs used humor as a means of expressing social or political criticism in a sarcastic manner , or to highlight the paradoxes and contradictions in everyday life. These jokes can be derived from popular stories, proverbs, or funny tales, and they often carry a deep message despite their apparent simplicity, so Arabs expressed their amusement in their own unique way , It was reflected in their proverbs and sayings, especially in the proverbs that constituted rich material for the people, in which they gathered their laughter and anecdotes. The proverbs served as a space for freedom, and a mirror for the details of daily life with all its paradoxes and absurdities. They were also an outlet for the repressed and apparent desires of individuals and groups, and a fertile pasture for artistic creativity that... It arouses amazement and admiration in people.

key words : Arabic proverbs - The joke - its origins - its characteristics - its functions - its goals - its types - the collection of proverbs - Abu Hilal Al-Askari

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعد النكتة من أشـــكال الفنون الأدبية النثرية التي تقوم على الفكاهة والســـخرية لتسليط الضوء على قضايا معينة ان كانت اجتماعية او سياسية او خيالية أو لمجرد التسلية و الترفيه, فهي وسيلة فعّالة لنقل الأفكار والمشاعر بطريقة خفيفة وممتعة، "فكثيرا ما يسأل الناس شخصا آخر قائلا له : هل سمعت آخر نكتة ؟ أو يقول له : قل لنا نكتة جديدة , أو يقول شـــخص لمجموعة من الأفراد يعرفهم: اسمعوا هذه النكتة, وتعبر هذه الأقوال وغيرها عن أن ثمة حاجة ما لدى البشر إلى سماع الطرائف وحكي النكات والمشاركة في هذا المرح الجماعي، وغير ذلك من الدوافع"[١] فقد عرّفها الكثير من الادباء قديماً وحديثاً , فقال الجرجاني : "هي مســـألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان، من: نكت رمحه بأرض، إذا أثر فيها وسميت المسألة الدقيقة: نكتة؛ لتأثير الخواطر في استنباطها"[٢]

او هي كما قالت نبيلة ابراهيم:" نتاج ادبي ينبع من الاهتمام الروحي, شأنها شأن الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية والاسطورة واللغز والى غير ذلك... لكنها تتميز عن هذه الاشكال بأنها قد تعين في يُسر على تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما"[٣]

او "هي شيء فكاهي يقال بطريقة معينة من اجل إحداث التسلية او اثارة الضحك , غالباً ما تكون في شكل لفظي شفاهي مختصر يجري سرده او حكايته خلال تفاعل اجتماعي مرح او ساخر , وتقوم على اساس المفارقة"[٤]

نشأتها:

تمتد جذور النكتة إلى أعماق التاريخ وقدمهِ ، إذ يعد الفراعنة في مصر والسومريون في جنوب العراق الرواد الأوائل في استعمالها ,فلجأوا إلى روح الدعابة والفكاهة كوسيلة لتخفيف وطأة الحياة ومشاقها، خصوصًا في مواجهة الضغوط التي فرضتها عليهم السلطتان الأقوى، وهما الزوجة والحاكم, و أقدم نكتة قيلت في التاريخ تعود إلى ٣٩٠٠ عام، أطلقها السومريون الذين استوطنوا جنوب العراق الحالي , فكان استخدامها للتعبير عن متاعبهم مع زوجاتهم ذوات الطبع الصعب (النكديات) ، مما يعكس محاولة مبكرة للتخفيف من أعباء الحياة اليومية من خلال الفكاهة , و ربما لا تعتبر نكتة بمعاييرنا الحالية، فتقول: "إن ما لم يحدث قط في تاريخ البشرية هو أن تجلس امرأة على ركبة زوجها وتلف ذراعيها حول عنقه بدلال خالٍ من الأغراض الخفية." [٥]

اذ تعكس هذه النكتة النظرة الساخرة للعلاقات الزوجية في ذلك الزمن، مسلطة الضوء على تعقيدات الحياة الزوجية بأسلوب فكاهي.

واقدم نكتة فرعونية تعود إلى عام ١٦٠٠ قبل الميلاد، محفورة على المعابد المصرية القديمة في عهد الملك سنفرو. تقول النكتة: "إذا أردت تسلية الفرعون العظيم سنفرو وتخفيف همومه، فعليك دفع مركب في مياه النيل يحمل أجمل فتيات مصر. يجب أن تستبدل الفتيات ملابسهن بشباك الصيد، ثم تدعو الفرعون للذهاب لصيد الأسماك دون شبكة، ليختار الشباك التي تروق له."[٦] تعكس هذه النكتة روح الدعابة الفرعونية وأسلوب الترفيه المبتكر للملوك في ذلك العصر.

خصائصها الاساسية:

اولاً: من خصائصها الاساسية هو الأثر النفسي الذي يكمن في تحقيق المتعة الجمالية التي تختلف عن المتعة المادية من حيث ان المتعة المادية ترتبط بالإحساس بالسعادة نتيجة موضوع يلبي احتياجات الحياة اليومية. أما المتعة الجمالية فهي الإحساس بالسعادة لذاته، دون أن يكون لهذا الإحساس هدف مادي. لذا، فإن النكتة تتجاوز كل نقد، لأنها لا تعالج المشكلة بشكل يثير النقد، بل تسخر من الموضوع بطريقة تجعل الروح النقدية تتلاشى لدى كل مستمع في نفس الوقت، تخلق استعدادًا مفاجئًا للضحك.

ثانياً: ايضاً من خصائص النكتة انها تقوم بسد الاحتياجات ذات الدوافع النفسية الخفية الناشئة عن إحساس الإنسان بعقبات تحول دون تحقيق رغباته الكاملة

ثالثاً : من الخصائص والوسائل التي تحقق النكتة بها حالة الاكتفاء النفسي وخلق جو من المرح , هو اختيار قائل النكتة للحظة المناسبة، وتحميل المعنى الكامل في اللا معنى. والسبب وراء استعمال النكتة للا معنى هو أن الشخص الذي يروي النكتة يسعى للتخلص من المتاعب النفسية.

رابعاً : من العناصر الرئيسية التي تتحقق بها النكتة , هما : الراوي للنكتة أو مؤلفها ، وسامعها او متلقيها والشخص الذي تروى عنه النكتة او تصب على رأسه السخرية .. فإذا لم تكن هنالك استجابة من قبل

المتلقي لها ، بمعنى أنها لم تضحكه ولم تؤثر فيه ، فإن النكتة تتطلب في هذه ان يكون متفقاً مع راوى النكتة في إحساساته النفسية . وأما عن السبب الذي من أجله لم تؤثر للنكتة في الشخص الثاني فهو أن حالته النفسية لم تكن لتسمح للنكتة بأن تؤثر فيها ، كأن تكون النكتة مهاجمة صريحة له.... [٧]

خامساً :النكتة هي ليست خبراً مباشراً أو نقداً مباشراً ، وإنما هي عبارة عن تلميح لشيء ما خفي . ولهذا ينبغي أن يكون هذا التلميح واضح حتى يتمكن السامع من أن يملأ الفجوات من تلقاء نفسه وبسرعة ، بحيث ينتهى فهمه للنكتة عند الانتهاء من روايتها [٨]

سادساً: . النكتة تتميز بالإيجاز ، وتتجلى غالبا في الكلمة الجامعة ، والصورة اللامعة ، والألعوبة اللفظية ، والجواب الفطن [٩]

وظائفها :

للنكتة وظائف نفسية واجتماعية تتوافق مع جوهر الفكاهة، إلى جانب هذا هناك وظائف اخرى خاصة تميزها ,فيمكن تلخيصها فيما يلي:

(١) تحقيق التواصل أو التفاعل الاجتماعي وتجديده على نحو مستمر .

(٢) تقوم النكتة بتعزيز التماسك الاجتماعي بين الأفراد والجماعات، خاصة في أوقات الأزمات، فضلا عن ازدياد تداولها مع تزايد الشعور بالتهديد والحصار. وتُلقى النكات أيضًا في أوقات الاسترخاء والمرح. كما

انها تسهم في تحديد أنماط السلوك الاجتماعي المقبولة وغير المقبولة من خلال سرد بعض النكات المتعلقة بهذه السلوكيات..

(٤) النقل بطريقة متوارية ضاحكة مرحة لبعض المعلومات عن بعض الأفراد أو طائفة في المجتمع.

(٥) من وظائفها انها تقوم بنقد اجتماعي يعبر عن كافة الاتجاهات كالسلطة بأشكالها ان كانت سياسية او دينية او أسرية او تعليمية ... إلخ

(٦)اللعب الذهني بالأفكار والألفاظ المستترة، مما يعبر عن فهم عميق وساخر لبعض التناقضات الموجودة في المجتمع أو في تصرفات بعض الأفراد

(٧) للنكتة اسلوب يعالج الازمات النفسية ومقاومة الاكتئاب والقلق والغضب والإحباط من خلال الوجود الضاحك معاً.

(٨) التخفيف من وطأة بعض القيود الاجتماعية، وخاصة ما يرتبط منها بالنواحي الغريزية الجنسية خاصة، وكذلك السلوكيات التي تنظمها المجتمعات على نحو أخلاقي الجوانب الجنسية والعدوانية

(٩) التنفيس عن مشاعر الإحباط أو اليأس التي يشعر بها الناس تجاه بعض الشخصيات السياسية، أو تجاه ظروف اقتصادية وسياسية سيئة[١٠]

أهدافها :

١- النكتة العدائية وتفيد في أغراض التعبير عن العدوان والسخرية، مقابل الدفاع عن النفس، ومهاجمة الآخرين, كالاستفادة من التوظيف او الاستثمار من شيء مثر للسخرية لدى الخصم , اذ لا يمكن التعبير بشكل مباشر فهذه هنا النكتة تمكن الباث لها من الالتجاء اليها , فضلاً عن انها تمنح الفرد متعة كانت متعسرة وصعبة المنال عليها من قبل.

٢- النكتة الجنسية وتخدم الأغراض الخاصة بالاستعراض أو الكشف عن الميول الجنسية، وما يرتبط بها كذلك من مشاعر الخجل أو الذنب، وكل ما هو فاحش وخارج، أو مقرف بالمعنى الشامل لهذه الكلمة[١١]

انواعها :

تتنوع النكتة العربية حسب موضوعاتها المطروحة, والباحثين في هذا المجال صنفوها بمختلف التصنيفات , فمنها:

النكتة الهجائية:

الهجاء غرض شعري معروف وجاء في النثر بشكل واسع في الادب العربي، ومن النثر (الامثال) التي قد يكون منها ما يكون نكتة تقوم على الفكاهة , وتعد النكتة الهجائية " اكثر أنواع الفكاهة لأن الهدف منها التجريح والحط بقدر المهجو منه في غالب الأحيان، ليصبح ضحكة للناس وهذا من خلال التركيز على تشويه صورة ذلك الشخص وعرض قائمة لعيوبه الأخلاقية والجسدية والعقلية والسلوكية[١٢], وهذا النوع من

النكت يصف العيوب التي تتعلق بالافراد والجماعات , كالحماقة والجبن والعجز"[١٣] , "فالأمثال التي على وزن افعل فيها المبالغة في التشبيه, والفكاهة فيها في الاغلب الاعم من نوع النكتة"[١٤]

ومن الامثال المضروبة في هذا النوع , قول العرب: **"أَحْمَقُ من عِجْلٍ"**[١٥]

عجل ابْن لجيم* بن صَعب بن عَليّ بن بكر بن وَائِل وَمن حمقه أَنه قيل لَهُ مَا سميت فرسك هَذَا فَقَامَ إِلَيْهِ وفقأ إِحْدَى عَيْنَيْهِ وَقَالَ سميته الْأَعْوَر, فَقَالَ الْعَنزي [١٦]

رمتني بَنو عجل بداء أَبِيهِم وَأي امرىء فِي النَّاس احمق من عجل

أَلَيْسَ أبوهم عَار عين جَوَاده فَصَارَت بِهِ الْأَمْثَال تضرب فِي الْجَهْل

وقد استعملت العرب هذا المثل للسخرية من شدة حماقة الاشخاص في بعض المواقف التي تجعله في موضع الاستهزاء والمسخرة , فالعنزي يظهر مدى عدم تفكيره وعدم ترويه في تصرفاته مما جعلته ان يقوم بعمل غير عقلاني تماماً لإجابة سؤال بسيط, و الفكاهة في هذا المثل تكمن في التناقض الواضح بين السؤال البسيط والفعل الجنوني من جهة , ومن جهة اخرى في هذا المثل شيء محكم بنوع النصيحة و التحذير من تصرفات وافعال الحمقاء والتسرع في اتخاذ القرارات دون التفكير في العواقب, وفي الوقت ذاته انه عرض درسًا بطريقة مرحة فكاهية مفاده أن الحماقة داء لا يمكن الشفاء منه لأنها قد تقود إلى أفعال لا يمكن تصحيحها. ومن اهم ما نلاحظ على هذا المثل انه مرتبط بحكاية واقعية لكنها تبدو من الخيال

فكيف يمكن لعاقل ان يقوم بالفعل الذي قام به عجل، فاستحق هذا الوصف الذي حاء على نحو التفضيل لكنه تفضيل معكوس لأنه مأخوذ من صفة تدل على الذم لا المدح، والهجاء ان يتصف احد بما اكثر حماقة من عجل الذي سار مثلا في الحماقة لأن فعله لا يقوم به عاقل ذو قدر من الحكمة ولو بسيط. فالمواقف نكتة والهجاء بالمثل يمثل مبالغة في الفكاهة والذم.

وفي الاستهزاء والسخرية من جبن المرء قولهم : "**وأَجْبَنُ من صافرٍ**" [١٧]

وَهُوَ كل مَا يصفر من الطير وَقيل هُوَ طَائِر يَأْخُذ غُصْن شَجَرَة برجليه ويتدلى منكوساً ويصفر طول اللَّيْل مَخَافَة أَن ينَام فَيُؤْخَذ , وَقيل إِنَّهُم أَرَادوا المصفور بِهِ وَذَلِكَ أَنه إِذا صفر بِهِ هرب , وَقيل الصافر الَّذِي يصفر بِالْمَرْأَةِ لريبة فَهُوَ يجبن وَيخَاف الظُّهُور على أمره, وَحَدِيث ذَلِك أَن رجلا كَانَ يعْتَاد امْرَأَة فيجيئها فيصفر فَتخرج عجزها من وَرَاء الْبَيْت وَهِي تحدث وَلَدهَا فَيَقْضِي حَاجته مِنْهَا فَعلم بذلك بعض وَلَدهَا فَغَاب عَنْهَا ثمَّ جَاءَ يصفر وَمَعَهُ مِسْمَار محمىً فَلَمَّا جَاءَت لعادتها كواها فجَاء خليلها فَقَالَت قد قلينا صفيركم[١٨] , ومنه قول أبي وجزة السعدي*:

وأَجْبَنُ مِنْ صافرٍ كَلْبُهم، ... إذا قَرَعَتْه حصاةٌ أَضافا[١٩]

ان اساس قصة المثل بحد ذاتها تحمل مفهوم المبالغة والسخرية من الجبن والخوف الشديد عند الرجل الذي يصفر ليجذب المرأة إلى مكان خفي خلف البيت وهذا سلوكًا غير تقليدي وغريب، فضلا عن طابع الكوميديا على القصة , ويكتمن جانب النكتة في عنصر المفاجئة عندما علم ابنها

بما يجري واستعد للموقف بمسمار محمى، فإن هذا التصرف يعكس ذكاءً وخبثًا هزليًا , والمرأة تُعاقب بشكل متوقع بقولها "قد قلينا صفيركم" يحمل سخرية واضحة، هذا ما يعبر عن رفضها للصفير بعد التجربة المؤلمة. هذا الاستخدام الذكي للكلمات يضيف لمسة فكاهية وطريفة للموقف , وعليه فإن هذا المثل يحمل عدة رسائل تُبين أهمية الشجاعة والصدق واليقظة، والحذر من العواقب السلبية للتصرفات الجبانة والخفية , والامر كما في المثل السابق يختصر حكاية تدل على الفكاهة ويمثل الهجاء بها سخرية من المهجو ولا سيما اقترن هذا الهجاء بصفة ذميمة لدى الرجل ولاسيما الرجل العربي وهي صفة الجبن . فكيف بمن يوصف بأنه اجبن من اجبن طائر ، إضافة إلى الحكاية التي تبعث على السخرية والفكاهة.

النكتة السياسية:

على الرغم من ان اكثر الطرائف تأتي في سياق اجتماعي فيمكن ان تكون دلالتها سياسية ,ونستطيع ان ننظر الى النكت السياسية بأنها هي النكت التي " تنتقد وتعلق وتسخر من شخصية سياسية، أو قراراً سياسياً بشكل مباشر أو غير مباشر، حسب كبر مساحة الحرية في البلد .. وفي البلدان الديكتاتورية النظام، تتحول إلى همس تواطئي يشترك به القائل والمستمع، وفي كثير من الأحيان لا يُعرف مصدرها الأساسي شأنها شأن الشائعة. ومنها ما يكون من اختلاق مخيلة شعبية بريئة، ومنها ما يستورد سراً من الخارج من جهة تعي الوضع السياسي في البلد الهدف، وتعي تأثير السخرية السياسية على معنويات الناس وهيبة الحاكم، ومنها ما هو جزء

مـن التكتيـك السياسـي للمعارضـة الداخليـة للأنظمـة المـراد إسـقاطها" [٢٠] , وهذا يعني هذه النكت وسيلة من وسائل التعايش مع الانظمة والصبر على طغيانها أو على سلطتها القاهرة أو هي وسيلة من وسائل مقاومة تلك السلطة واتخاذ موقف منها , فهي تعالج في محتواها قضايا سياسية للتعبير عن بعض المشاكل التي يعاني منها الفرد وُتحقيق بعض الأهداف المرجوة.

ومن الامثال التي قالتها العرب في هذا المعنى ويمكن ان تكون دلالته سياسية قولهم:

"رعى فأقصب" [٢١]

يُقَال ذَلِك لمن يسيء رِعَايَة الشَّيْء فيفسده , وَأَصله فِي رعي الْإِبِل وَذَلِكَ ان يسيء رعيها وَلَا يشبعها فتقصب عَن المَاء أَي تمْتَنع عَن الشّرْب وبعير قاصب: مُمْتَنع من الْوِرْد وَصَاحبه مقصب[٢٢]

ويشير المعنى القريب للمثل الى أن الراعي الذي يسيء رعاية ابلهِ ولا يشبعها يجعلها تبتعد عن الماء ولا تشرب، يسيء إليها ولا يصلح لرعيها فيُقال إنها "قصبت" أي امسكت عن الشرب , وحين نحاول ان نطبق معنى ذلك المثل على السياسية , نجد معناه يرتبط بما يفعله الحكام أو القادة في إدارة شؤون الناس وقيادة بلدانهم ولا ينجحون في هذه المهمة، فهم يسيئون إدارة شؤون البلاد بالقرارات التي تنتج عنها النتائج التي تؤدي الى كوارث ومصائر وخيمة بعد ان يكونوا قد قرروا قرارات غير مدروسة, لأن مصير كل شعب أو دولة رهن سياسة حكامها ولادته، فكما يفسد

الراعي الإبل بسوء رعايته، يفسد السياسي بسوء إدارته . والآخر ان عنصر المفاجأة والفكاهة في معنى النكتة يكمن في توقع نية القائد النزيهة التي هدفها تحسين الأوضاع ،لكن سوء التنفيذ يؤدي إلى نتائج عكسية تضر بالبلاد مما يجعل الرعية ينفرون من زعامته وعدم انصياعهم لأمره.

اذ ان المثل يحمل رسالة مبطنة لكن شكله الذي ينطبق على البعد السياسي يحمل سخرية لاذعة في مساواة الراعي المفسد للابل بالحاكم المفسد أو غير الكفوء . وبحمل المثل رسالة ساخرة للحكام الذين يزعمون أن أي فعل أو قرار يؤدي إلى تحسين الأوضاع من دون فهم وادراك عميق للأمور للتداعيات المدمرة للشؤون الادارية كما يسخر من الجهود السيئة التي تفسد أكثر مما تصلح.

وفي عدم تنفيذ وعود المسؤولين لشعبهم قولهم :

" أَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طَحْنًا"[٢٣]

الجعجعة: صوت طحن الرّحا[٢٤] , والطّحن: الدّقيق [٢٥] .

أي: أسمع وعيدا ولا أرى إيقاعا، أو وعدا ولا أرى إنجازا [٢٦]

يحتوي المثل على عبارة موجزة لكن فيها الكثير من المعاني الساخرة بطريقة فكاهية , مشيرة الى نقد للوعود السياسية التي تُطلق دون أن تترجم إلى أفعال ملموسة , فتكون النكتة هنا في مبالغة في كلام دون فعل . فالطحن الفارغ الذي يصدر عنه صوت الجعجعة يُظهر الكثير من الضجيج دون تحقيق أي نتائج فعلية، ويكمن عنصر المفاجأة في تقديم

توقعات معينة ثم الكشف عن واقع مختلف تمامًا. فمن يسمع صوت المطحنة المرتفع يظن انها تطحن قمحا أو شعيرا أو أي حبوب يمكن أن تكون طعامه للسامع، ولكن المفاجأة والصدمة تكون عندما لا يكون للجعجعة أي ناتج وهو أمر يبعث على الصدمة ولكنه في الأداء يحتوي على سخرية لاذعة في الزعماء الذين يطلقون الوعود ويمنون الناس بالأماني ثم لا يكون من كلامهم غير الوعد الذي يظل كلاما فارغا لا وجود لتحققه على أرض الواقع .

النكتة الاجتماعية:

يمكن لهذا النوع من النكت ان تعالج قضايا افراد المجتمع وكل ما يخص جميع جوانب الحياة اليومية , فهي " النكتة التي تسخر من غباء الإنسان ومن موقفه السلبي في المجتمع ,فلكل مجتمع جانبه السلي وجانبه الإيجابي ,والإنسان بطبيعته يميل إلى الجانب الإيجابي ويطمح إليه ، في حين أنه يسخر من الجانب السلبي"[٢٧] كغباء البعض مثلاً يجعل الفرد في موقف ضاحك وساخر, ومن الامثال التي ناظرت هذا النوع من الامثال, قول العرب: **"ذل من بَالَتْ عَلَيْهِ الثعالب"** [٢٨]

يضْرب مثلا للرجل المهين يظلم فَلَا ينتصر[٢٩]

وَأَصله أَن أَعْرَابِيًا كَانَ يأتي صنماً فِي بعض الصحارى فَيسْجد لَهُ فَأَتَاهُ يَوْمًا فَوجدَ ثعلباً يَبُول عَلَيْهِ فَقَالَ

أرب يَبُول الثعلبان بِرَأْسِهِ لقد ذل من بَالَتْ عَلَيْهِ الثعالب [٣٠]

إن الاعتماد على الأشياء والامور المستضعفة ولا يجدي منها نفعٍ في الحياة يؤدي إلى الذل والمهانة، مما يجعل البعض عرضة للسخرية والاستهزاء , وهذا ما نلمسه في الصورة الساخرة والمضحكة لشخص يعبد صنمًا في الصحراء، ويأتي يومًا ليجده مغطى ببول الثعالب، اذ يتضمن نص المثل نوعًا من التلاعب بالواقع ليضع الشخص في موقف مضحك ، مما يجعله عبرة لكل من يرى أو يسمع هذا الموقف .

وهذا النوع من النكت اجتماعي قائم على الاستهزاء بالمعتقدات والممارسات الخاطئة وانتقاد الأشخاص الذين يضعون ثقتهم في أشياء مجهولة لا تستحق التقدير والاحترام, فنكتة المثل صورت لنا كيف أن الشخص المهان يصبح هدفًا للسخرية، ليس فقط من البشر ولكن حتى من الحيوانات.

ايضا من الامثال العربية المعبرة بنكتة اجتماعية ساخرة, قول العرب:

"ذَكَّرَني فُوْكِ حِمَارَيْ أهْلي" [٣١]

يضْرب مثلا للرجل يبصر الشَّيْء فيذكر بِهِ حَاجَة كَانَ قد نَسِيَهَا[٣٢]

وأصله أن رجلاً خَرَجَ يطلبُ حمارين ضلاَّ له، فرأى امرأة مُنْتَقِبة، فأعجبته حتى نَسِيَ الحمارين، فلم يزل يطلب إليها حتى سَفَرَتْ له، فإذا هي فَوْهَاء، فحين رأى أسَنَانَها ذكر الحمارين، فقال: ذكرني فوكِ حماري أهلي، وأنشأ يقول[٣٣]:

لَيْتَ النِّقابَ على النساء محرَّمٌ كَيْلاَ تَغُرَّ قبيحةٌ إنساناً

لقد تحقق عنصر المفاجئة في النكتة التي تعرض لها الرجل على انه كان يتوقع جمالاً مغريًا تحت النقاب، لكنه صُدم بوجه المرأة الفوهاء أي : واسعة الفم وبارزة الاسنان , فإذا به أعاده إلى واقعه وتذكر الحمارين , وذلك لان النكتة " تقوم في العادة على عنصرين ، السرعة والمفاجأة ، فهي خاطفة لا تتريث ، مثيرة بمفاجآتها ، تبغت السامع أو القارئ بصورها وألاعيبها ، فتورث في نفسه نوعا من الانبساط ، أو تبعث على الضحك"[٣٤] , لكن ما الذي جعله يتذكر الحمارين ؟ الرجل شبه فم المرأة بأسنان الحمارين، وهذا تشبيه غير مألوف لكنه يحمل طرافة بسبب الموقف الغريب والمبالغة في الوصف.

ايضاً نرى المثل يحمل بين طياته حكمة راسخة في الاذهان تعبر عن ان الانسان كيف يعير اهتمامه لشخصٍ ما ومن ثم يتغير بسرعة وبسبب موقف مغري كان غير متوقع, مما جعله يسخر منه بطريقة فكاهية

وقولهم : **"عَلَى أَهْلِهَا دَلَّتْ بَرَاقِشُ"** [٣٥]

يضرب مثلا للرجل يرجع إصلاحه بإفساد, وبراقش اسم كلبة نبحت جيشا كانوا قصدوا أهلها فخفي عليهم مكانهم فلما نبحتهم عرفوهم فعطفوا عليهم فاجتاحوهم فقالت العرب أشأم من براقش[٣٦] ، لأنها جلبت الموت والعزيمة بقومها.

تكمن النكتة الساخرة في المشابهة بين تصرف الكلبة براقش، التي كان من المفترض أن تحمي أهلها، وبين من يكون قصده ان يجلب الخير فيجلبه بسوء تصرفه الشر، فقد قامت براقش بعمل معاكس وجلبت لقومها الأذى. هذه النتيجة العكسية وغير المتوقعة تضفي طابعًا كارثيا على الواقعة التي وقت لقوم براقش او من يشابههم على الرغم من انها

تعكس بعدا كوميديًا حين تنقلب محاولة النفع او الطبيعة التي يكون الانسان غير قاصد الضرر بتصرفاته انطلاقا منها الى ضرر ، . ان الاهتمام بتصوير فعل براقش يظهر ان العرب ركزوا على تصرف الكلبة بشكل مبالغ فيه وكأنها تتصرف بوعي بشري وتخطئ في تصرفها , هذا ما يضاف الى تضخيم التضاد بين التوقعات والواقع مما يخلق موقفًا فكاهيًا يسرد للسخرية في حين ان المفاجأة بالنتيجة غير المتوقعة لتصرفها والجميع يتوقع أن تحمي الكلبة أهلها، يبرز جانب السخرية والفكاهة، لأن ما حدث جعل الأمر معكوسا في الفعل الذي انقلب إلى ضرر ، فكانت المفاجأة التي حصلت نتيجة المفارقة، حيث أدى نباحها إلى كشف مكانهم وجلب أذى جيش العدو إليهم. وتقدم دلالة المثل الدليل على ان المفارقات التي تحدث في الحياة، يمكن أن تكون ذات مسارات خطيرة عندما تنقلب النوايا الحسنة إلى نتائج سلبية بسبب سوء التقدير أو التصرف غير المدروس.

الخاتمة

ان كتاب جمهرة الامثال مصدر مهم من مصادر التراث العربي , لما يحمل بين ثنيا دفتيه امثال عربية أصيلة دونت وقيلت على لسان عرب الجاهلية والاسلام وما يتلى بعدهما من العصور الاموية والعباسية , والامثال في طبيعتها متماسكة ومتجانسة النصوص من ناحية البناء الفني لها واسلوبها الانشائي والخبري ,فهي تمتاز بإيجاز اللفظ و إصابة المعنى و حسن التشبيه و جودة الكناية , وهذه المميزات هي من تسبك و تعضد الصورة الفنية والدلالية للمثل , اذ اجتمعت في الامثال الظرافة والطرفة والنكتة المحببة للفرد التي تمنحه روح الفكاهة , من حيث ان النكتة تتميز بالإيجاز ، وتتجلى غالبا في الكلمة الجامعة ، والصورة اللامعة ، والألعوبة اللفظية ، والجواب الفطن , ايضا لها غايات في طرحها عن طريق المثل , فمن غايتها ان تكون سياسية نتيجة الغضب المنضبط من الفساد والاستبداد وعن طريقها يلّمح الفرد بصيغة المثل فتجمع بين اسلوبين ساخر فكاهي واسلوب يحمل رسالة موجهة , واما تكون غايتها هجائية باستعمال الفاظ محتقرة تقلل من شيم الفرد وتنبذه كالحمق والعجز والجبن... وممكن ان تكون اجتماعية غايتها ان تعالج قضايا المجتمع فتتوارى بألفاظ عن طريق المثل بطريقة ساخرة.

الهوامش:

١ الفكاهة والضحك, رؤية جديدة : د. شاكر عبد الحميد , مطابع السياسة – الكويت , ٢٠٠٣ , ص٣٨٧

٢ التعريفات : الجرجاني ,ط١, ٢٤٦

٣ اشكال التعبير في الادب الشعبي: د. نبيلة ابراهيم, دار نهضة مصر – القاهرة , ص١٧٦

٤ الفكاهة والضحك, رؤية جديدة : د. شاكر عبد الحميد , ص٥٥

٥ ينظر: https://www.youm7.com الفراعنة اول من ابتدعوا النكتة الساخرة , باريس (أ.ش.أ) , السبت /٢ أغسطس /٢٠٠٨ / ١٠:٥٩ ص

٦ ينظر: المصدر نفسه

٧ ينظر: اشكال التعبير في الادب , ١٨١ , وينظر: سيكولوجية الفكاهة والضحك,: د. زكريا ابراهيم , مكتبة مصر, ص٧٦

٨ ينظر: اشكال التعبير في الادب الشعبي: نبيلة ابراهيم, ص١٧٩ – ١٨١

٩ الامثال في النثر العربي القديم : عبد المجيد عابدين , ١٨

١٠ ينظر: الفكاهة واليات النقد الاجتماعي (التراث والتغيير الاجتماعي) :شاكر عبد الحميد , معتز سيد عبد الله , سيد عشماوي , ص٥٣

١١ ينظر: المصدر السابق نفسه: ص٤٦

١٢ ينظر: الهجاء : محمد سامي الدهان , دار المعارف, دمشق , ط٣ , ١٩٥٧م , ص٢٥

١٣ الامثال في النثر العربي القديم, ص ١٢٠

١٤ المصدر نفسه: ص١٢٠

١٥ جمهرة الامثال ٣٩٠/١

١٦ المصدر نفسه ٣٩٠/١

١٧ جمهرة الامثال ٣٢٥/١

١٨ المصدر نفسه ٣٢٥/١

١٩ شعر ابي وجزة السعدي(١٣٠هـ) :جمع ودراسة : الدكتور محمد السراقبي ,مراجعة : محمد طاهر الحمصي , جامعة الكويت , تقديم : عبد الاله نبهان , جامعة الامارات العربية المتحدة , ابو ظبي , المجمع الثقافي , ٢٠٠٠م ,ط٧ : ١٤٩.

٢٠ النكتة السياسية عند العرب: هشام جابر, الشركة العالمية للكتاب, لبنان , ط١ , ص١٨٣

٢١ جمهرة الامثال ٤٩٢/١

٢٢ المصدر نفسه ٤٩٢/١

٢٣ جمهرة الامثال ١٥٤/١

٢٤ المعجم الوسيط ١٣٤/١

٢٥ ينظر : تاج العروس ٣٤٨/٣٥

٢٦ الأمثال : زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (٤٠٠هـ) , دار سعد الدين، دمشق ,ط١، ١٤٢٣ هـ : ٦٨

٢٧ اشكال التعبير في الادب الشعبي: نبيلة ابراهيم, ص١٨٨

٢٨ جمهرة الامثال ٤٦٥/١

٢٩ المصدر نفسه

٣٠) المصدر نفسه

٣١ المصدر نفسه ٤٦٣/١

٣٢ المصدر نفسه

٣٣ مجمع الأمثال : الميداني ٢٧٥/١

٣٤ الامثال في النثر العربي القديم: عبد المجيد عابدين,ص١١٨

٣٥ جمهرة الامثال ٥٢/٢

٣٦ المصدر نفسه ٥٢/٢

المصادر :

١- الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الاخرى, الدكتور: عبد المجيد عابدين, دار مصر للطباعة , القاهرة, ١٩٥٦م , ط١

٢ – المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ,دار النشر : دار الدعوة, تحقيق : مجمع اللغة العربية

٣- تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي

٤- الأمثال : زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (٤٠٠هـ) , دار سعد الدين، دمشق ,ط١، ١٤٢٣ هـ

٥- مجمع الأمثال, أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ),المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد ,دار المعرفة – بيروت لبنان

٦- الفكاهة والضحك, رؤية جديدة : د. شاكر عبد الحميد , مطابع السياسة – الكويت , ٢٠٠٣م.

٧- التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ,: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر, دار الكتب العلمية بيروت –لبنان , ط١, ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

٨- اشكال التعبير في الادب الشعبي: د. نبيلة ابراهيم, دار نهضة مصر – القاهرة .

٩ – ينظر: https://www.youm٧.com. الفراعنة اول من ابتدعوا النكتة الساخرة , باريس (أ.ش.أ) , السبت /٢ أغسطس /٢٠٠٨ / ١٠:٥٩ ص

١٠ – سيكولوجية الفكاهة والضحك,: د. زكريا ابراهيم , مكتبة مصر

١١- الفكاهة واليات النقد الاجتماعي (التراث والتغيير الاجتماعي) :شاكر عبد الحميد , معتز سيد عبد الله , سيد عشماوي

١٢- شعر ابي وجزة السعدي(١٣٠هـ) :جمع ودراسة وتحقيق : الدكتور محمد السراقبي , مراجعة : محمد طاهر الحمصي, جامعة الكويت , تقديم : عبد الاله نبهان , جامعة الامارات العربية المتحدة , ابو ظبي (المجمع الثقافي) , ٢٠٠٠م

١٣ – النكتة السياسية عند العرب: هشام جابر, الشركة العالمية للكتاب, لبنان , ط١

١٤– الهجاء : محمد سامي الدهان , دار المعارف, دمشق , ط٣ , ١٩٥٧م

Sources:

1. Proverbs in Ancient Arabic Prose Compared to Their Counterparts in Other Semitic Literature, Dr. Abdul Majid Abideen, Dar Misr for Printing, Cairo, 1956, 1st edition.
2. Al-Ma'jam Al-Wasit's: Ibrahim Mustafa, Ahmad Al-Zayat, Hamid Abdul Qadir, Muhammad Al-Najjar, Dar Al-Da'wah, edited by the Arabic Language Academy.
3. Taj Al-Aroos Min Jawahir Al-Qamus: Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Husseini, Abu Al-Faid, known as Al-Murtada Al-Zabidi.
4. Proverbs: Zaid bin Abdullah bin Mas'ud bin Rifa'ah, Abu Al-Khayr Al-Hashimi (400 AH), Dar Saad Al-Din, Damascus, 1st edition, 1423 AH.
5. Majma' Al-Amthal, Abu Al-Fadl Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim Al-Maidani Al-Nisaburi (d. 518 AH), edited by Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Dar Al-Ma'rifah, Beirut, Lebanon.
6. Humor and Laughter: A New Perspective, Dr. Shakir Abdul Hamid, Al-Siyasa Press, Kuwait, 2003.
7. Definitions: Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zayn Al-Sharif Al-Jurjani (d. 816 AH), revised and corrected by a group of scholars under the publisher's supervision, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1403 AH - 1983.
8. Forms of Expression in Popular Literature: Dr. Nabila Ibrahim, Dar Nahdat Misr, Cairo.
9. See: https://www.youm7.com, "The Pharaohs Were the First to Invent the Satirical Joke," Paris (A. Sh. A), Saturday, August 2, 2008, 10:59 AM.
10. The Psychology of Humor and Laughter: Dr. Zakariya Ibrahim, Library of Egypt.

11. Humor and Social Critique Mechanisms (Heritage and Social Change): Shakir Abdul Hamid, Mu'taz Sayed Abdullah, Sayed Ashmawi.
12. The Poetry of Abu Wajzah Al-Saadi (130 AH): Collected, Studied, and Edited by Dr. Muhammad Al-Sarqabi, Reviewed by Muhammad Tahir Al-Homsi, Kuwait University, Preface by Abdul Ilah Nabhan, UAE University, Abu Dhabi (Cultural Complex), 2000.
13. Political Humor Among Arabs: Hisham Jaber, International Book Company, Lebanon, 1st edition.
14. Satire: Muhammad Sami Al-Dahan, Dar Al-Ma'arif, Damascus, 3rd edition, 1957.